التصريحات والبيانات، بحيث يراهن البعض على هذا الاتجاه أو ذاك في النظام، بدلاً من اتخاذ موقف جذري حاسم ونهائي منه.

وعلى كل حال، فإن هذه المداهنة السياسية لم تتوجه صوب الخليج ودوله فحسب، بل نظرت إلى جار متاخم للديار هو ليبيا، آملة منه ما أملته من دول الخليج؛ فقد صدر بيان مشترك، في ٧ أيار (مايو) ١٩٧٩، بين السودان وليبيا يلتزم باحترام قرارات بغداد ويرفض أي اتفاق مع العدو الاسرائيلي يسمح له بإضفاء الطابع الشرعي على احتلال الأراضي العربية وفلسطين، ويندد بكل الخطط الاستسلامية التي تهدف إلى المس بالقضية العربية، معلناً التصميم على مواجهة المطامع الصهيونية والاستعمارية الهادفة إلى تكريس الاحتلال وتجزئة الأمة العربية، مكرراً الدعم اللامشروط لكفاح الشعب الفلسطيني بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية، الممثل الشرعي الوحيد له.

صدر البيان المشترك هذا[٢٩] في أعقاب زيارة وزير الخارجية السوداني التي قام بها إلى الجماهيرية والتي هدفت أكثر ما هدفت إلى الحصول على عون مالي، كان سيذهب كغيره لسد حاجات الانفاق الاستهلاكي لدى البرجوازية البيروقراطية العسكرية المسيطرة في السودان. ولم العجب والتساؤل، وليس من ضريبة على الكلام؟ ولم لا يؤيد النميري نفسه هذا الكلام، وصحة ما أورده، مكرراً إيمانه بالجامعة العربية بالرغم من أن نظامه لم يوافق على مقررات قمة بغداد[٣٠]؟ حقاً، إن في البيان لسحراً، وإن في التلمظ إلى المال أبان الضائقات الاقتصادية لأثراً.

ولن يمضي طويل وقت حتى يصبح البيان خبراً، فيبعث النميري إلى حاكم مصر، في ٢٨ أيار (مايو) ١٩٧٩، برقية تهنئة بمناسبة عودة العريش للسيادة المصرية[٣١]. ويوجه نداء في صحيفة السياسة الكويتية، في أوائل حزيران (يونيو) ١٩٧٩، يدعو فيه، إلى عقد مؤتمر عربي[٣٢] تحضره مصر والدول العربية لإعادة التضامن بين أطراف الصف العربي، على أن يعقد هذا المؤتمر في مكة برئاسة الملك خالد بن عبدالعزيز، ويعيد النظر في الاجراءات المتخذة من قبل الدول العربية بحق مصر، والاجراءات المصرية المعاكسة، لأن الجزء الأكبر منها يعد خطأ. واستبعد إمكانية الدخول في حرب جديدة نظراً لحدوث خلل في ميزان القوى بعد خروج مصر من دائرة المواجهة. وبرر إرساله رسالة التهنئة إلى السادات، بأنه لا يظن أن هناك من يعترض على عودة متر واحد من الأراضي العربية، أو عودة مواطن واحد من قبضة اسرائيل[٣٣].

يظهر الاستعراض السابق استكانة النميري المراوغة وكأنها لم تمتد طويلاً. وقد يعرض للبعض أنها ليست أكثر من موقف باطني مضمر ينتظر اللحظة التي يخرج فيها من مرحلة الكمون إلى مرحلة الظهور العلني. والواقع أن الأمر يتعدى ذلك. فاذا كان المرء يحتفظ بلا شك بالكثير من مفاهيمه الاساسية خلال خوضه الصراع، إلا أنه بالمقابل يضطر إلى التعامل مع الوقائع المخالفة لهذه المفاهيم، والتي تفرض وجودها المادي على مثالية مفاهيمه. وكثيراً ما تغلب لديه خياراً كان يؤثر تأخيره. وبكلمة أوضح، فان تهنئة النميري للسادات، لم تكن مجرد مجاملة ديبلوماسية ترتكز إلى المفاهيم المثالية الاساسية